مقوّمات وأسس المشروع التربوي عند عبد الله شريط

The components and foundations of the educational project according to Abdullah Cheriet

أم السعد سالمي*
جامعة محمد بوضياف المسيلة
Salmi Oumessaad
Mohamed Boudiaf University of M'sila
Oumessaad.salmi@univ-msila.dz

خيرة بورنان
جامعة محمد بوضياف المسيلة
Bourenan Khaira
Mohamed Boudiaf University of M'sila
Kheira.Bourenane@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/18 تاريخ القبول: 2023/03/26 تاريخ النشر: 2023/04/16

الملخص: تعدّ التّربية من الموضوعات الفلسفية الحسّاسة والجوهرية، وذلك لأنّها اللّبنة الأساسية والنّواة الأولى في بناء المجتمعات ونمذجة الأفراد، وهذا من خلال أبعادها وأدوارها الحضارية المتمثّلة في نقل الثّقافات وإكساب الخبرات، وتعليم القيم والمثل العليا، وترسيخ الفضائل، وقد كانت هذه الوظيفة الحضارية للتّربية من دواعي اهتمام الفلاسفة والمفكرين بها قديما وحديثا؛ بحثا في ماهيتها، وإقراراها بأهميتها، وتقديما لأسسها، ومنهم المفكر الجزائري عبد الله شريط موضوع هذه الورقة البحثية. فباعتماد منهج استقراء مؤلفات المفكر ومرجعياته الفلسفية، ثمّ تحليل أسس ومقومات الممارسة التّربوية عنده، توصلنا إلى أنّه يعدّ رائدا في الفكر التّربوي بالجزائر، وذلك من خلال ما دعا له في مقاربته السّوسيولوجية من ضرورة الاهتمام بالتّربية، وضرورة جعلها الجزء الأهم في المشروع الحضاري خاصّة ما تزامن منها مع فترة الاحتلال وما بعده بالجزائر والعالم العربي عامّة، أين كانت مهمّة التّربية عصية وفاعلة في مجابهة الجهل والأمّية والضعف بكلّ صوره؛ وقد لخص المفكر شريط مقومات التّربية في: التّعليم، الدّين الإسلامي، اللّغة العربية دعوة التّعريب، التّنمية، الثّقافة.

إذ تدخل التربية كقيمة وممارسة في تسوية كثير من المشكلات السياسية والاجتماعية والدينية وحتى النفسية، ومنها تربية تقبل واحترام الاختلاف ونبذ التّشرذم والتّشتت بجميع صوره. كما أنّ المقوّم الجامع لكل مقومات التّربية هو التّعليم؛ فالتّعليم هو الرّابط بين جميع أسس التربية، وهو الكفيل بالوصول بها إلى نسب عالية من القبول.

الكلمات المفتاحية: تربية؛ تعليم؛ الدّين الإسلامي؛ اللّغة العربية؛ تنمية؛ ثقافة؛ عبد الله شريط.

Abstract: Education is considered one of the sensitive and fundamental philosophical topics because it is the basic element and the first nucleus in building societies and modeling individuals, through its cultural dimensions and roles represented in transmitting cultures, acquiring experiences, teaching values and ideals, and consolidating virtues. Philosophers and thinkers have given an interest in the past and present to the civilizational function of education; In search of its essence, its recognition of its importance, and an introduction to its foundations, including the Algerian thinker Abdullah Rit, the subject of this research paper. By adopting the induction method of the thinker's writings and educational references, then analyzing the foundations and components of his educational practice, we concluded that he is considered a pioneer in educational thought in Algeria, through what he called for in his sociological approach of the need to pay

*- المؤلف المرسل

attention to education, and the need to make it the most important part of the civilizational project, especially when it coincided with including with the period of occupation and beyond in Algeria in particular and the Arab world in general, where was the task of education difficult and effective in confronting ignorance, illiteracy and weakness in all its forms. The thinker summarized the elements of education in; Education, Islamic religion, Arabic language, and the call to Arabization, development, and culture.

Education as a value and practice is involved in the settlement of many political, social, religious and even psychological problems, including an education that accepts and respects differences and rejects fragmentation and dispersion in all its forms. Education is the link between all the foundations of education and is the guarantor of high acceptance rates.

Keywords: education; Learning; Islamic Religion; Arabic; development; culture; Abdullah Cheriet.

1- مقدمة :

يعدّ البحث التّربوي من الموضوعات الحديثة التي شغلت بال الدّارسين، واستحوذت على حيّز كبير من أبحاثهم ومؤلفاتهم؛ وذلك لأنّ التّربية من أهمّ المقومات الإنسانية والاجتماعية، ومن المواضيع الحسّاسة والجوهرية في تهذيب الإنسان؛ فهي أساس بناء الفرد والمجتمع؛ وأساس تنظيم الحاضر وإعداد للمستقبل، ولما كان الأمر كذلك، وجب الحفاظ على هذا المكوّن البشري الهام، والثّروة النّفسية الثّمينة من خلال تكريس الجهود وتسخير الموارد الكفيلة بذلك.

من المعلوم بداهة أنّ التّربية لا تأت من فراغ، ولا تُبنى من عدم؛ وإنّما هي سلوكي تأسس من خلاصة الانضباط والتّكوين والتّعليم والرّعاية، وما النّتائج الحضارية إلّا محصلة وانعكاس لما حققته الأمم تربويا في مجتمعاتها؛ فكان ذلك سبيلا لبلوغ النّجاح والاستقرار، وتشمل التربية جميع المضامين والوسائل والآليات والخبرات التي لا حصر لها في خدمة الإنسان وتقويمه وتوجيهه وترويضه، وجعله أيضا قادرا على مواجهة المشكلات والتّغلب عليها، إنّها ضرورة من ضرورات الحياة التي تعكس اندماج الفرد في الحياة الاجتماعية، وتعزّز فعاليته وانتماءه، كما تحفزه على التّغيير والإصلاح والتّحسين والإنتاجية.

تتباين الجهود الفلسفية في طرح ما سبق بيانه من ماهية التربية وأهميتها، ومن بين تلك الجهود الحديثة في الساحة الفلسفية الجزائرية ما كتبه المفكر عبد الله شريط؛ حيث لقد اعتنى بالجانب التربوي عناية بالغة، لذلك يعد بحق من كبار المفكرين ومن أعمدة الثقافة العربية الذين تميّز فكرهم بالنضال النهضوي والتربوي، فلم يشغله الوضع المزري الذي كان يعيشه إبان الفترة الاستعمارية وبعده عن الوطن من الاهتمام بواقع التّعليم في الجزائر، خاصة مع انتشار الجهل والتخلف والأمية، ومع اختلاط الثقافات ومحاولة المستدمر فرنسة الجزائر؛ فكلها دوافع

جعلته يحمل همّ الأمة والوضع الذي آلت إليه من اكتساب رؤية تنويرية تأميلية للفلسفة التربوية جوهرها الدين الإسلامي والحفاظ على مقومات الحضارة الإسلامية العربية والثوابت الثقافية والغاية من ذلك إعادة الروح للتّاريخ وتنمية المجتمع من أجل تخطي الصدمة الفكرية والثقافية التي خلقتها الحروب والثورات وبناء على ما تقدّم طرحه ما في المقومات التي بنى عليها شريط مشروعه التربوي؟

ويتلخص منهج الدّراسة في استقراء أسس ومقومات التربية عند الدكتور عبد الله شريط، ثمّ تحليلها وفق التوجهات الفلسفية وتحليل مقاربته السّيوسيولوجية التي قدّم فيها أسس التربية من تعليم والدين الإسلامي وتمكين اللغة العربية ضمن مشروع التعريب، وكذلك الثقافة والتنمية، وكلها تجتمع على توطيد التربية وعلى أخلقة المجتمع، ومنه الحصول على تنمية فكرية ومجتمع متماسك يخوض غمار حياة جديدة بعد فترة طويلة من الاحتلال.

وتهدف الدراسة عموما إلى الاطلاع أكثر والمثاقفة والإفادة في مجال التربية من موقع أهميتها وقيمتها على جميع أصعدة وميادين المجتمع، والاطلاع على هذا تطبيقيا في فكر الرائد عبد الله شريط، الذي هو امتداد للفكر الإصلاحي الشامل الذي أسسته جمعية العلماء المسلمين، خاصة أنّ شريط كتب كثيرا في هذا المجال، ولتحقيق هذه المقاصد نعالج الورقة البحثية وفق المخطط الآتي:

1- مقدمة :

2- التربية: مفاهيم وأسس:

3- الفكر التربوي عند عبد الله شريط:

3-1- حياة شريط ومؤلفاته:

3-2- مرجعية ومصادر الفكر التّربوي لعبد الله شريط:

3-3- مقومات وأسس التّربية عند عبد الله شريط:

4- خاتمة:

2- التربية: مفاهيم وأسس:

تعود لكلمة تربية في معاجم اللّغة العربية أصول لغوية ثلاث؛ الأصل الأول: ربا يربو؛ بمعنى زاد ونما، ومن هذا المعنى قوله تعالى: "وما أتيتم من ربا لتربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله وما ءاتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون" الرّوم الأية: 39. والأصل الثاني: مضارعه يربي، بمعنى نشأ وترعرع، وفي ذلك بقول الله عز وجل على لسان فرعون لموسى عليه

السلام: "قال ألم نربّك فينا وليدا ولبثت في عمرك سنين" الشعراء 18. أما الأصل الثالث، فهو ربّ مضارعه يرب على وزن مد يمدّ؛ بمعنى أصلحه (العمراني ، 2012، ص. 17).

وفي معجم الصحاح، نجد الفعل ربا الشّيء يربو ربوا؛ أي زاد وقوله أيضا ربيته تربية؛ أي غدوته هذا الكلّ ما ينمي بالولد والزّرع ونحوه (الجوهري، 2009، صفحة 415)، يتبين أن مفهوم التّربية في المعنى اللغوي هو إصلاح الفرد وتنشئته حتى يبلغ الدرجة التي يتمكن من خلالها الاعتماد على نفسه، وذلك بحسن القيام والتّكفل به، والاستغناء عن غيره، كما أنّها تحقّق معنى المداومة وعدم الانقطاع والرّعاية التّامة التي تضمن النّماء والزّيادة.

أما اصطلاحا، فتعرف التربية (Education) بأنّها تنمية الوظائف العقلية والحسّية والخلقية التي تبلغ كمالها عن طريق التّدريب والتّدقيق، وهي علم يبحث في أصول تنمية مناهجها وعواملها الأساسية وأهدافها الكبرى (صليبا، 1982، ص. 42)، ويقصد بها عند علماء التربية نماء الكائن البشري من خلال الخبرة المكتسبة من مواقف الحياة المتنوعة.

يعرّف عالم الاجتماع دوركايم التربية على أنّها "الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم ترشد بعد من أجل الحياة الاجتماعية، وهي تعمل على خلق مجموعة من الحالات الجسدية والعقلية والأخلاقية عند الطفل وتنميتها وفي الحالات التي يتطلبها المجتمع بوصفه كلا متكاملا والتي يقتضيها الوسط الاجتماعي الخاص الذي يعيش فيه" (دوركايم ، 1996، ص. 86)؛ فالتربية حسّية في ظاهرة اجتماعية مثلها مثل باقي الظواهر تكمن وظيفتها في نقل الأفراد الجدد إلى كائنات اجتماعية؛ بحيث يستمدون أفكارهم من المجتمع بواسطة التنشئة الاجتماعية، وهي بذلك تحمل بعدا اجتماعيا، وتحمل نفس الخصائص والمواصفات المتعلقة بالظاهرة الاجتماعية، كما تتّسم باستقلاليتها على الفرد وأسبقيتها عليه.

ولقد ذهب الكثير من علماء التربية والفلاسفة إلى ربط التربية بالحياة الاجتماعية كما فعل دور كايم؛ فنجد قبل ذلك الفيلسوف أرسطو الذي بيّن أهمية التربية في استقرار الدولة والانسجام بين الطبقات، إذ يميل إلى الاتجاه الواقعي من خلال التربية في تغيير الواقع الاجتماعي بدل التّقوقع في عالم المثاليات والتّجريد الذي ذهب إليه أفلاطون.

كما عرفها جون ديوي بأنّها: "حاصل جمع العمليات والسبل التي ينقل بها مجتمع ما سواء كان كبيرا أم صغيرا، ثقافته المكتسبة وأهدافه بقصد استمرار وجوده ونموه؛ فالتربية عملية مستمرة لإعادة بناء الخبرة بقصد توسيع محتواها الاجتماعي وتعميقه" (اليونيسكو، 1993، ص ص. 139-140). وفي هذا التّعريف نلمس أنّ عملية التربية لا تكتمل وظيفتها إذا لم تكن في إطارها

الاجتماعي؛ فهي لا تعدّ تربية إذا لم تكن لغاية تنمية استعدادات الطفل النّفسية والجسمانية والاجتماعية لمواجهة العالم الخارجي بالتّفاعل والاستجابة.

وبرزت التّربية قيمتها في تطوير الشّعوب وتنميتها الاجتماعية والاقتصادية، وفي زيادة قوتها الذّاتية على مواجهة تحدّيات العصر، ولذلك فهي تعدّ إستراتيجية قومية كبرى لكلّ المجتمعات المعاصرة، وهي عامل في التّنمية الاقتصادية والاجتماعية، كما أنّه لا يمكن أن يتحقّق الفعل التّربوي إلا وفق أساليب ومناهج تعليمية من خلالها يتمّ التّفاعل بين الفرد وبيئته الاجتماعية (حمادي، 2012، ص. 16).

وتكمن أهمية التربية في ارتباطها بالحياة الاجتماعية، وهو ما ذهب إليه المفكر الجزائري عبد الله شريط، فلقد كانت قناعته في أنّ من أكثر الوسائل فعالية في حفظ ثقافة الأمة هي التربية لذلك هو يحمل المنظومة التّربوية المسؤولية الكبرى ومقوماتها الإسلامية العربية في صناعة الأجيال الصالحة لبناء جسر حضاري منيع.

إنّ مفهوم التربية حسب ما تصوره شريط أنّه ما ينطلق منها؛ أي مجتمع كأساس للمفاهيم والقيم والمعايير التي تحكم المجتمع وسعي من خلال التربية والتعليم إلى غرسها في الناشئة من أجل استمراره الحضاري في التاريخ وإبراز هوية ومكانة بين المجتمعات الأخرى وإسهاماته المعرفية وإنجازاتهم العلمية في عمارة الأرض (إعليوان ، 2014، ص. 5).

إنّ عبد الله شريط لا يقصد بناء التربية على أساس اجتماعي مع إلغاء الذات الفردية؛ بل هو تكوين الشّخصية ومحلّ الذّات وتطويرها وتنميتها الذي يؤدي بالضرورة إلى الحفاظ على المجتمع؛ فالغاية منها الحفاظ على الأحاسيس والمشاعر وتفعيلها، مع إعمال للعقل وتحكيمه في صناعة القرارات ذات الهدف الأسمى، يقول شريط: "إنّ الطريق الوحيد للإعداد للحياة الاجتماعية هو بالذّات ممارسة الحياة الاجتماعية نفسها، فتكوين عادات الطفل بعيد عن الوضع الاجتماعي القائم معناه حرفيا تعليم الطفل السباحة عن طريق تدريبه على حركات العوم خارج الماء، ذلك لأنّ الشرط الذي لا غنى عنه قد أخرج من الحساب، وتبعا لذلك كانت نتائج تافهة، إنّ العملية المحزنة والكثيرة الشائعة، -أي عملية الفصل بين التّنشئة العقلية والتّنشئة الأخلاقية، وبين اكتساب المعلومات وتنمية السّلوك -هي بكل بساطة التّعبير عن الفشل (شريط ، 2008، ص. 650).

3- الفكر التربوي عند عبد الله شريط:

3-1- حياة شريط ومؤلفاته: عبد الله شريط مفكر جزائري ولد ببلدية مسكيانة ولاية أمّ البواقي من سنة 1921، التحق منذ صغره بكتّاب القرية لحفظ القرآن الكريم، ثمّ بدأ تعليمه الابتدائي بمدرسة فرنسية بالمنطقة سنة 1927 لينتقل إلى ولاية تبسة سنة 1932، وفيها درس بمدرسة "تهذيب البنين" المنتسبة لجمعية العلماء المسلمين، فتتلمذ على يدّ الشّيخ العربي التّبسي إلى غاية نهاية أربعينيات القرن الماضي، أين ذهب إلى تونس لتحصيل العلم الشّرعي، ومكث فيها سنة واحدة عائدا بعدها إلى مدينة قسنطينة وبعض مدارسها (يعيش، 2013، ص. 5).

أنّهى المفكر دراسته خارج الوطن بجامع الزيتونة وقد نال منها شهادة الطوايع سنة 1946، ليواصل سنة 1947 بالجامعة السّورية بكلية الأدب قسم الأدب العربي، لكنه تحوّل إلى قسم الفلسفة بنفس الجامعة، ليتخرّج منها بشهادة الليسانس عام 1951، التحق سنة 1955 بالبعثة السّياسية لجبهة التّحرير الوطني في الخارج، أسندت له مهام إدارة جريدة "المقاومة"، ثمّ جريدة "المجاهد" منبر جبهة وجيش التحرير الوطني؛ حيث تولى تحرير الافتتاحية والتّعليق، وترجمة المقالات المنشورة في الصحافة الدّولية عن الثّورة الجزائرية، فظلّ يمارس هذه الوظيفة حتى فجر الاستقلال سنة 1962،ليعود إلى الجزائر في شهر أوت من نفس السّنة (حمداوي ، 2019، ص. 2).

وفي سبتمبر 1962 التحق بجامعة الجزائر في وظيفة أستاذ بقسم الفلسفة، فكان من مؤسّسي جامعة الجزائر المستقلة، وممن كان لهم فضل وشرف تعريبها وتمكينها من تجاوز براثن الاستدمار، وبخصوص الشهادات العليا، فقد حصل سنة 1972 على شهادة الدكتوراه بأطروحة موسومة "الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون"، ثمّ أطر الدكتور بعدها أجيالا من الطلبة، وأشرف على رسائل كثيرة من الماجستير والدّكتوراه، واختتم مساره الجامعي إطارا بذات الجامعة إلى آخر أيام حياته.

كما عرف الدكتور عبد الله شريط بأعماله الفكرية الرّصينة، وبكتابته الفلسفية العميقة؛ لذا كانت حياته شعلة وضاءة بالعلم والحكمة، ومنبعا للفكر القويم؛ فقد ناضل بالقلم مع بداية الأربعينيات، وعرف بتوجهه الوطني وأيامه بالجامعة الجزائرية (حمداوي ، 2019، ص. 2).

ولم يتوقف الأستاذ عند كونه المفكر والفيلسوف؛ بل كان شخصية متعدّدة المواهب من الشّعر والأدب والنّقد، وحتى الترجمة، فقد كان مترجما بارعا يتقن لغة فولتير أيّما كإتقانه لغة

الضّاد، وإليه يرجع ويعود الفضل الكبير في إثراء المكتبة الجزائرية والعربية بمؤلفاته القيمة، ونذكر منها (حمداوي، 2019، ص. 5):

- الجزائر في مرآة التاريخ.
- المنابع الفلسفية للفكر الاشتراكي في الجزائر.
- أخلاقيات غريبة في الجزائر.
- نظرية حول سياسة التعليم والتعريب.
- مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي مع محمد الميلي.
- الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون.
- مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الأيديولوجي في الجزائر.
- من واقع الثقافة الجزائرية.

2-3- مرجعية ومصادر الفكر التّربوي لعبد الله شريط:

تشكل المفهوم التربوي لدى شريط نتيجة اطلاعه على مصادر ومنابع صقلت فكره بشكل عام وفلسفته التّربوية بشكل خاص، ومن هذه المصادر نذكر على سبيل المثال:

أ- الفكر الاشتراكي: تأثر شريط بالفكر الاشتراكي تأثرا واضحا في كتاباته وأعماله، ولقد أعجب به واعتبره الطريق والسبيل الوحيد للدول المنهكة من ويلات الاستعمار والمستقلة حديثا، ويرى أنّه الأنسب في ذلك سياسيا واقتصاديا وتنمويا أو ثقافيا في تلك الفترة؛ حيث يقول عبد الله شريط "إنّ نظامنا الاشتراكي بذل جهودا كبيرة في مواجهة هذه العوائق وخاصة بوساطة الثورة الزراعية والقوى الفلاحية وبناء المدارس والجامعات والبرامج الخاصة للولايات الفقيرة، وبالرغم من الأخطاء في التّطبيق وقلّة المسؤولين المنفذين وصعوبة المراقبة وتعقد عملية الجزاء والعقاب وضياع الحدود الواضحة في المقاييس بين من يعمل ومن لا يعمل وبين- المستفيد من عمله والمستفيد من قعوده- فإنّ ما حقّقه من منجزات عمرانية لا يستطيع أن ينكره أحد" (شريط، 2009، ص. 95).

وفي هذا اعتراف صريح بقوة النظام الاشتراكي، وبتحكمه في تسيير الموارد الاقتصادية والتنموية للبلاد خصوصا في الفترة الاستقلال وتحقيقه للعدالة الاجتماعية وطرد شبح الأمية، أين كان نظام التعليم في الجزائر عاجزا عن ترميم ما هدمه الاستدمار الفرنسي، ولقد حاول جاهدا التوفيق بينه وبين الدّين الإسلامي رغم صعوبة ذلك غير أنّ "ولع الأستاذ شريط بالاشتراكية لم يمنعه من التنبيه إلى النزيف الذي تتعرض له من بعض تجارها كما قال، ودعا إلى ضرورة تعليم الناس الاشتراكية الصحيحة وأن نصارح الشّعب ليس شرا ولا إفلاسا وتخزينا وإنّما في نظام بني على العلم، وإذا ما مارسناه عن جهل، فإنّ ضرّه يصبح أكثر من نفعه" (بومانة، 2008، ص. 202).

ولكن ما دعا شريط إليه لم يكن دعوة تقديس الاشتراكية للحد الذي يجعلها دينا مقدسا، ولكنها اختيار أمثل من منظوره للدول المستنزفة للتّخلص من مخلفات الاستعمار، وتشكيل مفهوم عن الثورة الثقافية تقضي على الفوارق الطبقية بين المجتمع وإخراجه من التخلف للالتحاق بركب الأمم الرّاقية.

ب- فلسفة جون ديوي: تأثر عبد الله شريط بالفيلسوف جون ديوي في المجال التّربوي؛ حيث يقول: "إنّ جون ديوي فد شعر بأنّه في حاجة حتى في عصرنا إلى إدخال المفاهيم الاجتماعية للمدرسة، وإقامة أسسها على الوظيفة الاجتماعية حتى تكون لها رسالة حقيقة أخلاقية" (شريط، 2008، ص. 631). والمبادئ التي ترتكز عليها آراء جون ديوي الاجتماعية في مجال التربية ترى " أنّه لا يمكن أن يكون هناك صنفان من المبادئ الأخلاقية تختص أحداهما بالحياة في المدرسة والأخرى بالحياة خارجها؛ لأنّ السلوك وحدة لا تتجزأ" (شريط، 2008، ص. 630)، إنّ ما اعتمده شريط في تشكيل فلسفته التربوية قائم على نظرة واقعية تهدف إلى توحيد العمل الجماعي للمدرسة، والذي لابد أن يتماشى وفقا للمبادئ الأخلاقية وتهيئة التلميذ وتدريبه علي المشاركة في الحياة الاجتماعية وحب التفاعل والرّغبة في الإنتاجية التي تظهر نتائجها الملموسة في تنمية المدرسة.

وإنّ المهمة الاجتماعية التي نادى بها عبد الله شريط المتمثلة في القيام بتفعيل الخطاب التربوي البراغماتي العملي مستقاة أيضا من فلسفة ديوي البراغماتية، ويظهر ذلك في كتاباته لكن عبد الله شريط جعل نموذجه الأفضل هو ابن خلدون لا جون ديوي.

جـ- فلسفة ابن خلدون: تأثر عبد الله شريط بالعلامة ابن خلدون تأثرا كبيرا لدرجة أنه ألف كتابا خاصا به، وهو "الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون"، وهو رسالة الدكتوراه الخاصة به؛ فهو بالنسبة له لم يعد عنده مجرد عالم؛ بل أصبح أبعد من ذلك، وصار يستند إليه في جميع كتاباته، وكيف لا وفكر ابن خلدون وحده يشكّل مرحلة هامة لا يمكن تجاوزها في تاريخ الفكر الإنساني ككل.

استوحى شريط من ابن خلدون في الجانب التربوي اهتمامه بأحوال المجتمع والوسائل المرتبطة به من مشاكل وظروف وطرق إصلاحه وترقيته، إضافة إلى إعجابه بالمناهج التي ابتكرها والتي تعدّ ثورة على المناهج القديمة، وقد استمد منه منهجه الواقعي الذي لازمه وحاول تطبيقه في الجامعة الجزائرية في محاولة منه إلى ربط البحوث الأكاديمية بواقع وأحوال المجتمع الجزائري؛ حيث يقول شريط: "لقد ربط ابن خلدون بين الخطوة الأولى من خطوات التّعليم وبين ظروف المجتمع الحضارية، وهي خطوة الكتابة وظلّ وفيا لهذا الرّبط بينهما حتى آخر خطوات التّعليم، وهي الإنتاج الثقافي وإشاعة الثقافة في أوسع نطاق من المجتمع، وهي أرقى ما تصل إليه الحياة الثقافية فيه" (شريط ، 2008، ص.632).

ويضيف أيضا قائلا ومعبّرا عن التّوافق الضروري الذي لابد وأن يجمع بين المجتمع والتربية "لقد تفطن ابن خلدون للعلاقة الوثيقة بين الحياة الاجتماعية والتعليم، وحلل بدقة ولكن بأسلوبه وطريقته الخاصة في الترابط الذي لا ينفك بين مستوى المجتمع ومستوى التعليم ولو أنّ رجال التربية عندنا تابعوا من بعده وتوسعوا في تحليل هذه الرسالة الأخلاقية الإيجابية التي يجب أن تضطلع بها المدرسة في حياة المجتمع ورقيه الفكري والحضاري" (شريط، 2008، ص. 632). ذلك أنّ ابن خلدون كان أعلم الناس في تلك الحقبة بأحوال المسلمين، ولابدّ للمشتغلين في هذا المجال أن يتابعوا هذه المسيرة الإنتاجية التي تهدف إلى التصدي لعراقيل التطور الحضاري؛ لذا يجب من تلاقي المبادئ التي تضمن تطور المدرسة والتعليم فمن العبث تجاهلها؛ لأنّ ذلك إخفاق في السعي عن معالجة مشكلات التّخلف.

ومن هنا فطبيعة الإبداع والنهج الجديد الذي اتسمت به فلسفة شريط من خلال قراءته لفكر ابن خلدون تعني أنّه من غير المقبول أن نأتي بفلسفة جاهزة، ونحاول من خلالها أن نجد الحلول لمشاكلنا ومتاعبنا التي نواجهها اليوم في حياتنا؛ لذا فعدم جدوى هكذا حلول هو الذي جعل المفكر شريط يجتهد في رسم معالم الفلسفة الاجتماعية المعاصرة" (جلول، 2011، ص.68).

د- فكر العلامة ابن باديس: استلهم شريط من المنهج الباديسي الكثير من أفكاره في النهضة والإصلاح والإرشاد وخطابات الوعظ، وخاصة الجانب العملي الذي يتجنب الإغراق في التنظير والتجريد والطوباوية، وقد أشاد به في أكثر من موضع في مؤلفاته، ومن ذلك قوله " وكانت قوة ابن باديس ليست فقط في أمانته في التعبير عن روح شعبه عند رده على فرحات عباس بأن الجزائر ليست فرنسا، ولا تريد أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أنّ تكون فرنسا، وإنما كانت قوته في كون هذا الرّد كان عمليا في حين بقي حكم فرحات عباس نظريا" (شريط، 2009، ص. 281).

ويضيف أيضا "إنّ ابن باديس يؤمن أنّا الجزائر دينها الإسلام ولغتها العربية وحضارتها إسلامية عربية، وعلى هذا الأساس وبهذه الرّوح كون عمليا الجمعيات الشّعبية والمنتديات والجرائد المجلات والجمعيات الكشفية والموسيقى والمسرحية في الشباب ونشر العربية والعقيدة الدينية في أوسع الطبقات الشعبية بالمحاضرات والدروس، وكان يلقي معدل أربعة عشر درسا في اليوم على التلاميذ وعلى جماهير العمال والفلاحين والتجار تطبيقا إلى يؤمن به ويدعو إليه من أن الجزائر عربية إسلامية وليست فرنسية" (شريط، 2009، ص. 281).

هنا أدى ابن باديس دورا هاما في نشر التّوعية عبر الخطب والرّسائل، وكل ذلك من أجل نشر العلم وتبليغه وجلب المصالح العليا التي تقوّم اعوجاج الشعب الجزائري وتزيل عنه الخرافات والبدع التي تلبس عليه دينه وتفسد أخلاقه وقيمه التي تربى عليها، ولا ريب أنّها مخططات

الاستعمار الفرنسي التي سعى إلى بلوغها إبان الفترة الاستعمارية، وبذلك أخذ شريط أسلوب ابن باديس في التبليغ عن طريق الصحافة ونشر التعليم الحقيقي؛ فكل مواطن صالح مهمة الدفاع عن وطنه ومبادئه وقيمه بأي وسيلة كانت، أو أي منصب كان يشغله.

3-3- مقومات وأسس التّربية عند عبد الله شريط:

أ- التّعليم: يطرح الأستاذ عبد الله شريط مسألة اختيار المناهج التربوية والتعليمية التي تضعها وتخطط لها الدولة وتحدد أهدافها وفق استراتيجية مدروسة وواضحة، لأنّ مصير الدولة يتحدد على المنظومة التربوية. والتعليم له دور كبير في ازدهار الأمم والاهتمام شؤونها ومصالحها وله شأن عظيم في ترقية باقي المجالات الأخرى التي تركز عليها الدولة في الحفاظ على كيانها وفاعليتها أمام الدول الأخرى.

ويعتبر شريط التعليم هو محور الحياة الاجتماعية، وقد ربطه بها استنادا لما فعله ابن خلدون الذي يعتقد بأنّ التعليم أساس إصلاح الأفراد والمجتمع والدولة؛ حيث يقول شريط: "المدرسة لكي تنهض تحتاج إلى عدّة شروط في مقدمتها تصور واضح لمهمتها: هل هي مهمة اجتماعية، تأخذ من المجتمع تراثه تبلغه لجيل المدرسة كما هو؟ أم هي مهمة تطورية تغربل التراث وتنقص منه وتضيف إليه؟ أم هي مهمة ثورية من التراث الاجتماعي إلا ما اتفق مع الإيديولوجية السياسية التي تأخذ محتواها من أفكار فلاسفة معنيين مربيين ذوي اتجاه معين مختلف أشد الاختلاف عن الأجيال التي سبقته؟ أم هي مهمة لا تهدف إلى شيء من هذا وذاك" (شريط، 2009، ص.79).

يطرح شريط بعض الأسئلة من خلالها يتم تحديد مهمة المدرسة ودورها الفاعل في المجتمع، كما يجيب أنّ مهمة التربية تكمن في نقل فرد من سلوك إلى سلوك آخر، ونقلة من حالة الجهل والأمية إلى حالة الفهم والدراية والتعلم، ولها أبعاد كثيرة من أهمها توجيه سلوك الأطفال وامتصاصهم من الشارع وإشغالهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، لذلك سعى عبد الله شريط إلى ربط الدين الإسلامي بالمدرسة وإدخاله في مناهج التربية؛ لأنه يسهم بدرجة كبيرة إن لم نقل هو القادر على زرع حب التّعلم واحترام المعلم والمدرسة مع الحرص على تعليم الناشئة من قبل المسؤولين على ذلك تعليما صحيحا بعيدا عن الخزعبلات والشبهات.

إذن فالسلاح ليس تشييد المباني ولا المناهج، ولكنه إعداد المعلم حتى يكون فعالا فلا يبقى معلما موظفا؛ بل فيمثل حالنا لابد أن يكون مناضلا نعطيه أكثر مما نعطي لغيره ونطلب منه أكثر مما نطلب من غيره لأنّنا نكلفه بتنمية الثورة البشرية الصعبة داخل المدرسة وخارجها (حمادي، 2012، ص. 17).

وهنا ينتقد شريط المعلم، ويوجّه له نصائح تساعده أثناء تأدية مهمّته، تمكنه من أن يكون من يعرّض نفسه للخدمة، ويقدّم الأفضل لطلابه ولبلده؛ حيث يقول شريط "إنّ المعلم يكونه محيطه ثقافيا واجتماعيا، وهو بدوره يكون مجتمع الصغار فسخطه وانتقاده إذا كان على صورة محيطة مبالغة وتهويلا، فهو متولد عن عدم معرفته بأمور بلاده معرفة علمية من ناحية ومن سخطه على الحيف الذي يشعرانه هو وحده الضحية فيه من ناحية أخرى" (شريط، 2009، ص.93).

وعندما يتكلم شريط عن المعلم، فإنّه لا يقصد بذلك الموظف الذي يعتقد أنّ وظيفته تقتصر على نقل المعلومات الجافة للتلاميذ والحصول على مقابل مالي تبعا لذلك، بل هو يقصد المناضل الذي يزرع في تلاميذته حب التعلم والخير الإيجابي، فيقول: "ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبد عليهم في التأديب" (شريط، 2008، ص. 642)، ويضيف أيضا: "ولما كان الأمر الذي أدى إلى استعمال العنف "وإرهاف الحد" مع الوالدان هو الملل، فإنّ الطريقة التي يقترحها ابن خلدون لنستبدل بها طريقة العنف والإكراه هي أن يكون تلقين العلوم للمتعلمين على التّدريج شيئا فشيئا، قليلا قليلا" (شريط ، 2008، ص. 642).

وهنا يقترح شريط أن يتلقى التلاميذ العلوم على التّدريج رويدا رويدا حتى يترسّخ العلم في أذهانهم، ويتثبت لديهم الفهم والحفظ شريطة أن يكون بطرق ترغيبية غير منفرة ولا مؤذية؛ لأنّ الغاية التي يسعى إليها من خلال المعلّم هي جعل التّلاميذ يحبون التّعلم فتكون لديهم رغبة جامحة في مواصلته مع المراحل المبرمجة له، بالإضافة إلى تمكينهم من التّعلم تعليما سليما ضمن مناهج بسيطة سهلة بعيدا عن التعقيد والتركيب.

إنّ المسؤولية التي تقع على عاتق المعلم هي مسؤولية كبيرة إذا ما قورن مع أقرانه الذي يشغلون مناصب هامة وحساسة في المجتمع، ولابد أن يدرك حجم هذه المسؤولية وأن يصاحبه في ذلك الضمير الحي وحضور الّرغبة والقدرة على تهيئته الأجيال قبل تعليمهم؛ لأن هذا أولى محطات التنمية في البلاد، وفي هذا يقول شريط: "إنّ مسؤولية المعلم المناضل أكبر من مسؤولية السياسي، فالزعيم السياسي الناجح هو الذي يجعل الشعب يثق فيه أما مسؤولية المعلم الناجح هو أن يجعل الشعب يثق في نفسه" (شريط ، 2009، ص.100).

يشير شريط أيضا هنا إلى نقطة مهمّة في العملية التّعلمية وهي مسألة الانقطاع؛ أيّ أنّ المتعلم الذي يتخلل أوقات تعلمه فترات من الانقطاع، تشتّت عليه تركيزه، ويكون ذلك سببا لفقدان الرغبة في المواصلة مجددا، ويصحب ذلك النسيان ويدخل العقل في دائرة الركود والراحة، وهو ما يعيق التعلم، أيّ كلما كان الفاصل الزمني أو المدة أقصر، كلما كان التثبيت

محكما للمعلومات، وهذا يشمل الجميع سواء كانوا صغارا أم كبارا؛ حيث يقول: "وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانية النسيان كانت الملكة أيسر حصولا وأحكم ارتباطا وأقرب صيغة، لأنّ الملكات إنّما تحصل بتتابع الفعل وتكراره، وإذا تتوسي الفعل تتوسيت الملكة الناشئة عنه"(شريط، 1984، ص.121).

وبيّن شريط أهمية التعليم كما ذكر نقائصه وعيوبه خصوصا في المغرب العربي؛ حيث يقول: "هناك مساوئ أخرى في التعليم مثل التقاليد في تاريخ التربية عندنا" (شريط، 2008، ص. 638)، وعليه يمكن حصر هاته المساوئ في آراء ابن خلدون بإيجاز ما يلي: عدم المناقشة، الحفظ دون فهم، كثرة التأليف للمادة الواحدة، كثرة الاقتصار، كثرة القواعد في العلوم الآلية، استعمال العنف الذي قد يقضي على شخصية الطفل ورجولته، ضرورة حسية التعليم للصغار، وأخيرا تنويع الأساتذة للكبار.

كما ذكر شريط أخطاء المعلم أثناء تعليمه للناشئة مما ينمّ عن ضعف المناهج التعليمية باعتبار المعلم جزء لا يتجزأ من صيرورة التعلم؛ فلا يقوم المنهج ولا يؤدى على الوجه المطلوب دون معلم ومتعلم، والهدف المطلوب ليس الاهتمام بالمتعلمين والمعلمين؛ بل الاهتمام يتعدّى إلى كل معلم في مجال خصائصه ولا ينحصر فقط على المدرسة والجو البيداغوجي، "إنّ ميادين التعليم على اختلاف أنواعها نسميها بتنمية الثورة البشرية يشارك فيها معلم المدرسة واستاذ الجامعة والمحامي والطبيب ومهندس الكهرباء والرّي، فيكون فيها المجتمع كله كما قال أحد حكمائنا القدماء عالما أو متعلما والبقية همج عندئذ لا يخشى على تعليم الصغار أن يفسد بفساد مناخ مجتمع الكبار وتكون الثورة المادية في حصن من التبذير" (شريط، 2009، ص. 99).

لذلك يستقى التّعليم السليم من الفكر السليم الذي يخدم الدولة ومواطنيها، وهو جزء من اقتصاد البلاد، وهو ما يسمى بالاستثمار في العنصر البشري بالاهتمام بتعليم الناشئة ومرافقتهم تربويا في كل مرحلة من المراحل التي يجتازونها، وهذا هو المنهج الذي اعتمده مالك بن نبي في مشروعه الحضاري من أجل بناء الحضارة وإحداث النهضة.

ب- اللّغة العربية والتّعريب: يرى عبد الله شريط أنّ العروبة واللغة العربية أحدّ المقوّمات الأساسية في الحفاظ على هوية الفرد الجزائري، لأنّه تعرّض لدكتاتورية الاستدمار الفرنسي الذي حاول بشتى الطرق تحويل فرنسة الجزائر من خلال لغته وتعليمها للشّعب الجزائري؛ بل بفرضها جبرا، ولأنّ لغة الشعب الجزائري عربية من لغة الإسلام، ولا يمكن أن تكون إلا عربية، وهي لغة المجتمع بثقافته وتقاليده؛ فقد أولى شريط أهمية كبيرة للغة باعتبارها جزء لا يتجزأ من المجتمع، وهي المكوّن الأول بنائه: "اللغة لا بد لها من مجتمع والمجتمع لابد له من لغة، يعيش كل منهما من

الآخر ويتغذى منه ويتفاعل معه ويكتسب منه القوة على البقاء والتطور" (شريط، 1981، ص.153)، وقد وقف موقفا منتصرا للعربية، فعدّها لغة العلوم والثقافة والفكر؛ حيث أكّد على مسألة الأولوية في تعلّمها بقوله: "فالجيل الذي سبق له أن تعلم لغة أجنبية سواء كان عربيا أو غير عربي قبل تعلم لغته، فإنّك تستطيع أن تستعمل معه كلّ الوسائل الحديثة في التربية أو القديمة، كما تستطيع أن تحاول إقناعه بصلاحية التّعريب وضرورة الوطنية والقومية منها، ولكنك لن تبلغ منه كمالا ولا إصلاحا" (شريط، 2008، ص. 654).

من هنا اعتبر شريط العربية وسيلة إصلاح للأجيال إذا كان التعليم متاحا ومبرمجا بها؛ ويجب تعلم العربية قبل تعلم أيّ لغة أخرى؛ لأنّ ذلك يساعد الفرد على تحقيق غاياته، وإبراز هويته، كما يساعده في فرض هيمنته على الطرف الآخر؛ فاللّغة حسّية تتجاوز أن تكون أسلوبا للكلام إلى سلاح ضدّ الاستعمار ووسيلة للقضاء على الجهل والأمّية وإبراز الثّقافة الشّعبية في مستواها الحقيقي بعيدا عن اعتبارات اللّهجات المحلية التي لا ترقى إلى أن تكون لغة وطنيّة؛ فاللّغة العربية هي اللغة الوطنية من حيث الدّين والتّاريخ والحيز الجغرافي والأداء الوظيفي.

كما يرفض المفكر شريط ارتباط اللغة الشّعبية العامّية باللّغة الأجنبية وضياع العربية الأصيلة بينهما؛ فهو يدعو إلى التّصدي لسياسة التّهجين اللّغوي التي حاولت فرنسا فرضها أثناء الاستعمار. وقد أخذت مسألة التّعريب التي دعا إليها شريط حيّزا كبيرا في كتاباته، وأفضت إلى العديد من النّقاشات التي تندّد بالتّخلص من اللّغة الأجنبية، مستندا بذلك إلى آراء ابن خلدون، ويظهر ذلك في قوله: "مسألة التّعريب واضحة عند ابن خلدون سهلة وبسيطة لا تحتاج إلى المناقشات النظرية التي تخوضها دون فائدة، إنّ التّعريب مسألة أسبقية في تعلم اللغة" (شريط، 2008، ص. 654).

ومن مساعي شريط في التّعريب، مناظرته لوزير التّربية الأسبق مصطفى الأشرف سنة 1980 من خلال مقالات صدرت في جريدة الشّعب؛ حيث "وضح فيها قدرة اللّغة العربية على التّطور السّريع في كل عصر من العصور التّاريخية، ولكن المشكل كما قال ليس في اللّغة العربية في حدّ ذاتها، ولكن المشكل في الناطقين بها؛ لأنّ اللغة تتطوّر بتطور الاختراعات والابتكارات والثّراء الثّقافي والعلمي عموما" (بوصفصاف، 2004، ص. 10)؛ لذلك يصرّ شريط على جعل اللغة العربية أولوية لمعالجة التّجزؤ الناتج عن الخلافات ومعالجة انعكاساتهم شقاق واضطراب وتمزّق، إنّها غاية وليس فقط وسيلة، ومظهر من مظاهر التقدم، حيث يقول: "إنّ اللغة ليست فقط تراثا للأمّة، بل هي بالإضافة إلى ذلك أداة حركة المجتمع الذي يريد أن يتنصّل من العجز والتّعفن" (شريط ، 1981، ص.150).

ويكمن السّر الخفي وراء دّفاع شريط عن اللغة العربية فيصدقه نحو خدمة الأمّة والسّعي إلى تخليصها من التخلف والتبعية، وإلى تقديم أسباب التقدم والاستقلالية والخصوصية، لذلك حرص على دعوة جميع المشتغلين باللغة العربية إلى المحافظة على بقاء العلاقة قائمة بين الشّعب واللغة، وإلى خلق الانسجام والترابط بينهما سواء كانوا مربين أو معلمين في جميع مؤسسات التّنشئة الاجتماعية والمتخصّصين في مجال العربية وآدابها، كما حثّ على الاهتمام بها والتّثقف منها؛ حين يقول: "إنّنا لم نتفطن بعد إلى أنّ الموقف الإجمالي المدعم بالموقف الاستغلالي المزيّف لن تسير به شوطا بعيدا في طريق إحياء اللغة العربية وتمكين مجتمعنا من استعمالها والتّثقيف بها لأنّنا مهما تبجحنا "بشعبيتنا" من ناحيته، وبتمجيد اللغة العربية من ناحية أخرى، فإنّ هذا لن يفيد اللغة ولن يفيد الشعب ما دمنا حرصين على بقاء القطيعة بينهما متحكمة كما كانت في عهد الإقطاع الاجتماعي والاستبداد السياسي" (شريط، 2008، ص. 656).

لقد ركز شريط على اللغة العربية لصناعة الأمجاد، ولأنها أهمّ المقومات الذاتية التي تمكن الإنسان من معرفة هويته ومتطلباته الحقيقية الكفيلة بمعرفة أحواله وطبائع مجتمعه وحتى المجتمعات الأخرى الغربية عنه، ولا شكّ أنّ التّمكن من اللغة العربية يعين الفرد على تعلّم اللغات الأخرى، ولا بأس في ذلك إن تمكن من لغته الأم، وحقّق بها أوجه الاستفادة، وهذا يعكس الانفتاح والتّواصل مع الغير، ويحقّق العالمية والكونية دون الانحصار على الخصوصية فحسب؛ بل لابدّ من الموازنة في محاربة التّقليد والانصهار في الآخر والانبهار به، وبين الانغلاق على النّفس.

إنّ التربية اللغوية السليمة التي دعا لها شريط من فكر ابن خلدون تؤسّس منهجا في تعلم وتداول العربية؛ يتمثّل في أنّه "يشترط أن نتعلم اللغة الوطنية بطريقة الاستعمال المباشر من النصوص، لا بطريقة القواعد التي لا تطبق على النّصوص ولا في الحياة الاجتماعية" (شريط، 2008، ص. 655)،وربّما هذا نتيجة تعلمه العربية في جو عربي أصيل، وتعلّمها في كتاتيب القرآن الكريم، وهذا ما جعله من أكبر المدافعين عن أصولها وآدابها واشتغاله في مناصب أكسبته التمكن في مفرداته خاصّة عمله في الصحافة، وممارسته الدائمة لها، وهذا ما خلق فيه مسؤولية ووفاء وإخلاصا في الدفاع عنها، وهذه مهمة كانت لابد أن توكل لكلّ مسلم عربي يؤمن إيمانا قويا بعقيدته في الدّفاع عن لغته الرّاقية التي شرّفها وخصّها الله بالقرآن، قال عزّ وجل: "إنّا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" (يوسف: الآية 2)؛ لذلك حقّ ووجب على الجميع الحفاظ عليها، ومداولتها في المحافل الدولية والوطنية.

إنّ وطنية شريط وعروبته جعلته بصيغته خصيصا تتضافر فيه الجهود للسّير بقافلة المجتمع نحو التّطور، وذلك بإدراك قيمة اللّغة في تسيير شؤون الشّعب، يقول: "إنّ حرصنا على

استعمال اللّغة العربية وإحيائها ينحصر عند الفخر بها نظريا. ولا يتعدّى ذلك الجرأة العلمية، وهكذا انكمشت لغتنا بعد أن حذف وأهمل استعمال عدد ضخم بسبب الأمية الكتابية من ناحية وبسبب احتقار المثقفين لعدد آخر من مفرداتها الشّعبية من ناحية أخرى، انكمشت لا من حيث المفردات؛ بل وأيضا من حيث التّركيب والتّصرف في الجمل، وتنوّع الصور وقوة التّعبير والبساطة" (شريط ، 2008، ص. 656).

يدعو شريط إلى الاعتزاز باستعمال الكلمات العامّية، والتي هي سلسلة اللّغة العربية؛ وهي جزء من المجتمع والواقع دون الخجل من تداولها؛ لأنّ الدول المتقدّمة تبرز ثقافتها الشّعبية كجزء من تاريخها وحضارتها؛ بل كان ذلك عاملا من عوامل التّواصل بينها وبين الأمم الأخرى، إنّ من أهم الأسباب التي جعلت الإنسان الجزائري يقع في أزمة الهوية هو عدم تداوله للغة العربية بحجة أنّها لا تواكب العصر وتبنيه للغات الأجنبية في جميع مجالات الحياة.

ج- الدين الإسلامي: لابد من تربية المجتمع تربية دينية؛ إذ بغير الدين تضمحل الحضارات، ويتلاشى كيان الأمة، وينتشر الجهل، وتنهار القيم والأخلاق، وتغيب النظم والقواعد، وتختفي الوطنية وينعدم التّشارك؛ ذلك أنّ الدّين جزء لا يتجزأ من بناء البلد واستقراره؛ ولا شكّأنّ الدين الإسلامي أعظم الأديان، وهو دين الله، دين السماحة والوسطية، وهو يساعد على تمتين العلاقة بين العبد وربّه، وكذلك العلاقة بين العبد والعبد، والعبد والطبيعة، ويكون بذلك نقل الإنسان من حالة الجهل والتّخلف التي كانت قبل الإسلام إلى حالة العلم والفقه والتّحضر.

ولمّا كان الدّين الإسلامي منهجا صحيحا ونبراسا منيرا، وهو عزّ الأمّة ونصرها الموصل إلى الحقيقة، فقد أظهر عبد الله شريط الفرق بينه وبين الدين المسيحي في كون أنّ الاول نجح ووصل إلى قلوب الناس واستطاع أن يكون ثورة حقيقية وشاملة لحياة المسلمين، وأن ينجح إلى أبعد حدود النّجاح الممكنة في نضاله ضدّ الفكر اللا-عقلي، ويحقّق وظيفته الأولى في ضبط البقايا المترسبة من هذا الفكر في قاع وجودنا اللاوعي" (مراجي، 2014، ص. 95).

من هذا المنظور، لا يقلّ رجل الدّين في الإسلام أهمية عن منصب حاكم البلاد أو ربّما أكثر؛ إذ هو المصلح الأول، وهو الموجّه والمربي، وخير دليل على ذلك ما كانت تشهده الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي؛ حيث غابت جميع سبل التّعلم، وانتشر الجهل، وفاقت الأمية، ولم يبق إلا كتاب الله العزيز يتعلّمه الصغير والكبير، وكان أعظم وسيلة أخرجت الشّعب الجزائري من براثن الاستبداد والعتمة إلى النور والحرّية، وقد بين عبد الله شريط أنّ للشيخ عالم الدّين وزن كبير في إصلاح المجتمع الجزائري وتحقيق الإنجازات والفتوحات ما لا يستطيع أحد غيره من عامة الناس تحقيق ذلك؛ لأني ملك القدرة على بعث روح الأمل، وزرع الطاقة الإيجابية في الصغير والكبير؛

حيث يقول شريط: "والعصر الذي نعيش فيه ويعيش فيه رجل الدين ليس عصر التجريديات والمفاهيم المطلقة، بل هو عصر الواقع المشخص، الواقع الذي يصبح علما عندما يرتفع إلى درجة العقلنة والقوانين دون أن ينفصل عن أرضيته الحسّية، وحسّية العلم هي العالم وما يخترعه أو ما يكتشفه أو يعلمه ويكتبه، وحسّية الدّين هي رجاله المؤمنون النّشطون الأقوياء بإيمانهم، وميدان عملهم ليس هو الطبيعة أو الآلة، بل نفس الإنسان وقوته الرّوحية وسلامة طبعه التي يستطيع رجل الدين أن يخلق بها من المنجزات ما لا يستطيع أن يخلقه العالم باكتشافاته في المادة الطبيعية أو المخترعات الآلية" (شريط، 2009، ص. 321).

وبالرغم من المكانة التي يعتلها رجل الدين من منظور شريط، إلا أنّه يجب أن يكون على اطلاع بما يجري، ومواكبا للعلوم والمعارف، وعلى قدر من المعرفة باللغات الأخرى حتى لا يكون منفصلا عن الواقع الذي يتغير باستمرار؛ حيث يقول شريط: "لكن رجل الدين الإسلامي المعاصر إذ قرر أن يحول ميدان عمله من المسجد إلى ساحة المجتمع في وطنه وفي العالم الإسلامي، فإنّ شروطا هامّة تنتظره وهي رفع المستوى الثّقافي عنده، وتوسيع أفق هذه الثّقافة، وعدم الاكتفاء بالثّقافة الدّينية وحدها، بل يكون ملمّا باللغات الأجنبية مطلعا على الثّقافات المعاصرة، محيطا بالأحداث الكبرى التي تجري في العالم" (شريط، 2009، ص. 327).

كما يرى شريط أنّه من واجب رجل الدين أن ينزل إلى الواقع، وأن يكون نصحه أكثر تطبيقا وممارسته، وأن لا ينحصر مجاله على اعتلاله للمنابر وبقائه في المساجد، بل يتعدى ذلك إلى معرفة مشاكل أبناء المجتمع، فيقدم الحلول التي يقضي بها على الآفات والتّشققات، ويكون أكثر حزما في ضبط نفسه، وأن يتشبع بإيمان الأقوياء حتى يكون قدوة ولا ينغمس في ملذات الدنيا يقول شريط: "إنّه رجل حكم على نفسه بأن لا يعيش مثل الآخرين؛ لأنّه من طراز خاص"(شريط، 2009، ص.327)؛ لذلك تقع المسؤولية الكبيرة على عاتقه في البحوث والدّراسات بوصفه عالما دينيا وله قوة التّأثير؛ وفي الإسهام في دفع عملية التّطور والنّمو، وله دور فاعل في تربية الناشئة تربية صحيحة سليمة ذات إنتاجية مثمرة لا تقتصر على التقليد؛ بل قائمة على التّجديد والابتكار، ويحقق أكبر قدر من المشاريع التي تساعد في القضاء على الأمية والبطالة، والحدّ من الانحرافات والسلوكيات الإجرامية، يقول شريط: "إنّ أكثر عاهة مجتمعية وحضارية أصابت المسلمين اليوم وطبيعتهم دون غيرهم من المجتمعات الحديثة عامة الأمية بمختلف أشكالها، أمية الفكر والدين، وأمية القراءة والكتابة، أمية الثقافة والحضارة، فأصبحنا بهذه الأمية أقرب إلى أن نصنّف إلى قائمة الشعوب البدائية من الشعوب المتحضرة" (شريط، 2009، ص.322).

إنّ نموذج رجل الدين المعاصر هو مفهوم الاندماج الذي يعكس مرونته، وحسن تعامله مع أفراد بلده من عامة الشّعب ومن الطبقة المحرومة؛ لذا وجب عليه أن يختلط بهم، وأن يقترب منهم لبعث روح الأمل والنّشاط فيهم، وأن يخفّض من مستوى ثقافته ومهارته ووعيه إلى الثّقافة التي يتقبلونها، وباللغة التي يتحدثون بها بكلّ حبّ وصدق ورحمة.

د- الثّقافة والتّنمية: إنّ حقيقة الثّقافة متأتية من فعاليتها في إعداد المواطن، ومن تنشئته التّنشئة الاجتماعية التي تجمع بين العلم والأخلاق، وهو ما تعانيه البلدان العربية؛ حيث تظل الثّقافة فيها مجرد شعارات شكلية لا تفيد واقعنا الذي هو بحاجة إلى التنمية، لأنّ ما من عمل فيه تنمية أو هو لصالح المجموع، إلا فهو يحتاج إلى تكاثف الجهود من الأفكار والعقول وكل ما تلخصه الثّقافة، كما أنّ رهانات التّنمية ليست قائمة على تصوّرات مثالية صورية؛ بل على مدى إسهام هاته الأفكار في تصحيح المسار وفق أهدافنا التي تؤطرها وتبرمجها؛ لذلك رصد الأستاذ شريط جميع الآليات الكفيلة بهذه التّنمية الاجتماعية في مرحلة الاستعمار، و"يرى أنّ مهمة المثقف هي التّعبير عن المشكلات التي يعيشها أبناء مجتمعه والذي يسخر ثقافته في خدمة مجتمعه" (حمادي، 2012، ص. 69). لقد كان الأستاذ شريط مقتنعا تمام الاقتناع بأنّ الاهتمام بالتّربية هو العامل الوحيد الذي يضمن الخروج من شبح التّخلف المترتب عن طول الحقبة الاستعمارية المظلمة، وتحقيق التّنمية التي تعدّ لازمة وضرورية في حفظ سيادة الأمّة ورفعتها، وهو ما يستلزم إحداث ثورة ثقافية؛ لأنّ الحديث عن الثّورة يستدعي تحرّكا سريعا ويقظة أو فطنة من العاملين في هذا المجال، لذلك دعا شريط إلى إحداث تغيير جذري ثقافي من أجل إرساء دعائم الدولة وبناء المجتمع بناء صحيحا.

إنّ القيام بالثورة الثقافية والتّنموية هو امتداد للثّورة المسلّحة كثورة على مختلف المستويات، لا تقتصر على إحداث تغيرات سطحية أو على معالجة جزئيات منفردة، وإنّما إحداث تبديل شامل يضرب في العمق، وهذا ما يسمّيه شريط بالانقلاب؛ أي الانقلاب الفكري على كلّ مظاهر التّشتت المعرفي والانحرافات النّاتجة عن تجاذب التّيارات واستقطابها؛ حيث يقول: "إنّ الثّورة الثّقافية تعدّ أخطر الثّورات جميعا وأقربها إلى الانزلاق نحو الانجراف، ولذلك كان المجهود الإيديولوجي أهمّ منه في مجالات البناء السّياسي الأخرى" (شريط، 2009، ص. 273).

يؤكد شريط على الحاجة إلى القيام بثورة جديدة تحفظ مقوّمات السّيادة العربية الإسلامية ضدّ المخطّطات الغربية التي ترى بأنّ الجزائر فرنسية؛ أي فرنسة التّربية وفق أذهان العدو الكولونالي؛ لذلك لابدّ من استبدال الوسائل والسّلوكات التي اعتقل فيها العقل الجزائري وتلوّثت فيه الرّوح وغيّبت تماما بمستجدات التّطور العلمي في تلك الحقبة إبان عصر النّهضة

وعصر الاكتشافات العلمية. كما يدعو شريط المثقّفين للنّزول من أبراجهم العالية والاحتكاك بالشّعب للاطلاع على المشكلات الواقعية التي يعاني منها؛ أي معرفة مكمن الضّرر ثمّ البحث في طبيعته والتّفكير في تجاوزه.

تمكّن المفكر من وضع حلول ومساعي جادّة لإنجاح العمل الثّقافي في الجزائر، وتجاوز عجز منظريه عن تحقيق رؤية واضحة حول الثّقافة، ومن ثمّة تقديم بدائل على شكل ملاحظات توجيهية تخصّ الثّقافة والمثقّف، وذلك لتحقيق النّجاعة العلمية بعيدا عن عجز وسوء التّصرّف السّياسي في استخدامهم، لأنّه حسب شريط " لا يوجد عندنا هذا الصّنف من المثقّفين القادرين على العمل العقائدي، والذين هم مهندسو البناء الاجتماعي" (شريط، 1981، ص. 116).

وحتى يتسنى للمثقّفين توجيه وتنوير الجماهير، يجب ألا يقتصرون على المعلومات الأكاديمية وحدها في ميدان تخصّصاتهم أو عملهم؛ بل لابدّ أن يكون لهم الحدّ الأدنى من الاطلاع على ظروف بلادهم وأحوال شعبهم، وأن يكونوا متحرّرين من تبعية ثقافة الأجنبي ومن عقدة العظمة إزاء شعبهم (خوجة، 2012، ص. 104).

والاهتمام بالمثقّف يدعم مساعي التّنمية؛ لأنّ الأخيرة مسؤولية تقع على عاتق المثقّف والمربي والأستاذ جميعا حتى يكونوا على اطلاع واسع بأوضاع بلدهم، ويسهموا في حلّ مشكلات التّعثر الحضاري والسّقطة الفكرية التي عانى منها المجتمع لفترة طويلة؛ ولابدّ لهم من تنمية قدراتهم للتّخلص من عقم الثّقافة الذي قتل روح الإبداع والتّجديد؛ فكلّما عرفنا أسباب العجز، كلّما كان الاهتمام بالنّقائص أكبر؛ لأنّ الهدف هو إخراج المثقّف من تقوقعه في وظيفته إلى الانخراط في الجماعة وتقديم حلول تدعم التّقدم والتّطور، و "إنّ نسبة القناعة التي تشغل أرواحنا منذ قرون فشلت فينا فضيلة الطموح، ومكنت فينا الاكتفاء بالتّقليد وكل ما لدينا من الطموح يتعلق بالاستيلاء على متاع الآخرين، أما الطموح في التّخلف والإنتاج فلم يستيقظ بعد" (شريط، 1981، ص. 97).

على هذا الاعتبار، ينتقد شريط العقل العربي الإسلامي الذي أسهم في بقاء التّخلف بقناعته التّامة وإيمانه الرّاسخ بأنّ التّغيير لا يتعدى الأمور السّطحية، ولا سبيل في ذلك إلا إلى النّقل واتباع الآخر ومجاراته في أحواله وطبائعه لتحقق التّبعية؛ لذلك انتقد شريط ظاهرة استيراد النظم التّعليمية الحاضرة بدلا من إنتاجها وإبداعها وفق طبيعة ومتطلبات المجمع الجزائري الفتي؛ لأنّ المدرسة التي تستورد نظمها ومواردها العلمية وحتى لغتها والرجال الممارسين أيضا للتّعليم فيها من محيط وآفاق غير محيطها وآفاقها ليست مدرسة ثورية (شريط، 2009، ص. 60).

وتبدو كذلك دعوة شريط إلى أن تكون المدرسة قادرة على إعداد جيل يندمج مع محيطه؛ لأنّ غاية تأسيس المدرسة ليس فقط التّعليم، وإنّما تحقيق مفهوم الاندماج المواطني الذي يحافظ على منتوجه الأصلي ويسعى إلى ابتكار نظم جديدة تتلاءم مع البيئة التي يعيش فيها، فمن المعيب أن يلجأ المعلم العربي إلى المعلم الأجنبي لجاهزيته وقدرته على تحقيق المراد دون تعب أو مجهود وبلغة أجنبية تجعلنا نخجل من لغتنا، والحقيقة إن كان ذلك ديدنهم، فلا نبتهج بتحقيق النهضة.

كما يعتقد شريط أنّ مصير الثقافة مرتبط بالكتابة؛ لأنّ لذلك وقع سيء وانعكاس سلبي يحول بين الرّقي والإصلاح؛ حيث يقول: "وكان لهذا الفساد في الخطّ والكتابة أثره السّيء على سير التقدم العلمي والرقي الثّقافي؛ إذ لما صارت الخطوط بإفريقيا والمغرب مائلة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة صارت الكتب إذا اتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها إلا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ إلا بعد عسر (شريط، 2008، ص.633).

وهذه إشارة أن تكون الثورة على مستوى الجانب الفكري، وأن لا تنحصر في المجال العسكري السّياسي؛ فالأصل أنّها ثورة للعقل وليس للجسد، لذلك لم يغفل أستاذنا عن التنبيه إلى بعض المعيقات التي من الممكن أن تكون حاجزا أمام التّجديد الثقافي وعدم الإتمام بالتنظيم الفكري لشؤون الدولة من العاملين فيها والقائمين على شؤونها، والخوف من أن تبقى هذه الثورة حبرا على ورق وشعارات من دون حقائق ملموسة، بالإضافة إلى إهمال الجانب الفكري وعدم التركيز عليه؛ إذ لا يمكن أن نقوم بالتغيير دون أن يكون القلم سلاحا ووسيلة للتخلص من سذاجة المتمثلات اللاعقلانية وجهل العقول التي تدعي الدفاع عن مصالح المدرسة الجزائرية.

وعليه يمكن اقتصار الثورة الثقافية التي دافع عنها شريط في ثلاث مراحل (بومانة، 2008، ص. 203):

- المرحلة الأولى: تتمثل في تشييد الجانب المادي لهذه الثورة من خلال بناء المدارس والجامعات وغيرها، وهي مرحلة أساسية لا غنى عنها ولا تكفي لوحدها.
- المرحلة الثانية: يسميها الدكتور شريط بالمرحلة النقدية، وتتمثل في نقد الواقع الثقافي والوقوف على مواطن القوة لتنميتها ومواطن الضعف حتى تعالجها.
- المرحلة الثالثة هي مرحلة إحداث التغيير العميق، ويتحقق ذلك من خلال توفر بعض العوامل من العلم والعمل والفكر.

- خاتمة:

في خلاصة هذه الدراسة نشيد بمآثر الفيلسوف الجزائري عبد الله شريط، وبموسوعيته وجرأته الفكرية، وبقدرته كذلك على تجاوز الأزمة؛ فلم يتخلّ في المحنة عن دوره في صناعة التّغيير من خلال وضعه برنامجا تربويا محكما لإصلاح التّعليم وإعداد المناهج التّربوية في الجزائر؛ بل تحقيق مشروع حضاري برؤية حداثية مزدوجة القومية في سبيل التنمية وإرساء دعائم الثورة الثقافية عن طريق جعل الدين الإسلامي واللغة العربية المكوّن والمنهاج الأول للنضال الفكري وإخراج الأمة من غيابات الجهل والأمية، وللتّنمية التي تعدّ ضرورة من ضرورات التّقدم والتّطور، ويمكن إيجاز ما توصلنا إليه من نتائج في النقاط الآتية:

- التربية مقوم حضاري وضرورة لبناء الأمم وتهذيب الفرد، وتنظيم المجتمعات.
- الدين الإسلامي من المقوّمات والأسس في بلوغ التربية عند المفكر عبد الله شريط؛ فهو الدين الحنيف والدّاعي إلى الفضائل والأخلاق.
- للغة العربية مكانة هامة في مجريات التّربية عند المفكر شريط؛ والعمل على التّعريب التّام وغير المشروط خطوة في سبيل تحقيق تربية شاملة على لسان العربية الفصيح.
- العلاقة بين التّنمية والثّقافة والتربية علاقة تلازمية يستدعي تحقّقها وجود التربية الصحيحة.
- تدخل التربية كقيمة وممارسة في تسوية كثير من المشكلات السياسية والاجتماعية والدينية وحتى النفسية، ومنها تربية تقبل واحترام الاختلاف ونبذ التّشرذم والتّشتت بجميع صوره.
- إنّ المقوّم الجامع لكل مقومات التّربية هو التّعليم؛ فالتّعليم هو الرّابط بين جميع أسس التربية، وهو الكفيل بالوصول بها إلى نسب عالية من القبول.

بعد النتائج التي توصلنا إليها من فكر عبد الله شريط نوصي بالعمل ضرورة استثمار هذا الفكر التّربوي والخروج به من الجانب النّظري إلى الجانب التطبيقي من خلال الممارسة الفعلية على أرض الواقع، وتربية الفرد على المواطنة والحفاظ على الهوية، وتحسين جودة التعليم، وكذلك الحفاظ على القيم والهوية اللغوية.

- قائمة المصادر والمراجع:

- إعليوان السعيد. (2014). فلسفة التربة عند عبد الله شريط. الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر.
- الجوهري ابن ناصر إسماعيل بن حماد. (2009). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. مصر: دار الحديث.
- العمراني عبد الغني إسماعيل. (2012). أصول التربية (المجلد ط2). اليمن: دار الكتاب.
- اليونيسكو. (1993). مجمع العلوم الاجتماعية. القاهرة، مصر: العينة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- بوصفصاف عبد الكريم. (2004). السيرة الذاتية لعميد الفلاسفة الجزائريين الدكتور عبد الله شريط. منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية.
- بومانة محمد. (2008). الثقافة والتربية في فكر عبد الله شريط. مجلة العلوم.
- جلول خدة معمر. (2011). الدراسات الأخلاقية في الفكر المغاربي. جامعة وصرا.
- حمادي النوى. (2012). التنظير المنهجي لإشكالية التنمية في فلسفة التربية عند عبد الله شريط. مجلة مقاربات فلسفية.
- حمداوي عبد القادر. (2019). الدكتور عبد الله شريط المفكر الرائد. جريدة الشعب.
- خوجة عبد الكريم. (2012). اشكالية التنمية في الجرائر بعد الاستقلال المفكر عبد الله شريط. الجزائر: رسالة ماجستير جامعة وهران.
- دوركايم إميل. (1996). التربية والمجتمع. المجلد ط1. ترجمة: علي أسعد فضة. سوريا: دار المعد للطباعة والنشر.
- شريط عبد الله. (1981). المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- شريط عبد الله. (1984). نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون في الاجتماع والسياسة والثقافة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- شريط عبد الله. (2008). الفكر الأخلاقي الخلدوني. الجزائر: موفم للنشر.
- شريط عبد الله. (2009). الأعمال الكاملة (المجلد ج1). الجزائر: منشورات السهل.
- صليبا جميل. (1982). المعجم الفلسفي. المجلد. ج1. لبنان: دار الكتاب.
- مراجي رابح. (2014). الدين والترقية الفكرية عند عبد الله شريط. مجلة النقد الثقافي.
- وسيلة يعيش. (2013). مشكلة الثقافة بين مالك بن نبي وعبد الله شريط. مجلة الكلمة.